

البالة سوق لكل فئات الشعب

2016-12-06 اسعد عبد الله عبد علي

في فترة الحصار الاقتصادي المفروض من المجتمع الدولي على الشعب العراقي، بسبب المغامرات الغبية للطاغية صدام، ظهرت أسواق "البالات" وهي أسواق لبيع الملابس المستخدمة ونفايات مستوردة من الخارج، تلك الفترة التي كانت شديدة القسوة على العائلة العراقية، بفعل حجم الضغوطات المسلطة على المجتمع، لذا ظهرت مهن عديدة لسد حاجات الناس، ومنها ولدت أسواق البالات، والتي شهدت إقبالا كبيرا، بسبب انخفاض القدرة الشرائية للمجتمع نتيجة السياسات الخاطئة للسلطة، لذا أصبحت "البالة" بديل مناسب للجديد.

وحتى بعد ارتفاع القدرة الشرائية، لفئة واسعة من المجتمع، في السنوات الأولى للتغير، بقيت سوق البالات لها رواج واسع، على تنوعها من ملابس أو أجهزة كهربائية أو أجهزة الكترونية أو قطع غيار أو ألعاب أطفال، واهم أسواقها اليوم في بغداد هي سوق الكاظمية وسوق بغداد الجديدة وسوق باب الشرقي وسوق باب المعظم وسوق مريدي، حيث يأتي لها الناس من كل مكان حتى من المحافظات.

هنا نحاول أن نتعرف على قصة البالة من أين تأتي؟ وما هي ابرز أنواعها؟ ولماذا يستمر المواطن بالتبضع منها؟ ومن هم الزبائن الدائمون؟ تساؤلات انطلقنا بها نحو الأسواق لتتعرف على أجابتها:

☒ الأجهزة المستخدمة طريقنا لمواكبة التطور

بدأت رحلتي بالتساؤل ترى كيف تصل الى أسواق العراق؟ فالتقيت بالمواطن حسنين كريم وهو تاجر متخصص في استيراد البالة فقال: أن مكاسبنا الكبيرة الذي تحققت كانت في نهاية التسعينات، حيث تخصصت أنا في جلب التلفزيونات المستخدمة، حيث كان العراق يعيش عزلة شديدة، فمن النادر أن تستطيع شراء تلفاز حديث، بسبب عسر حال اغلب العراقيين، أن تجد الحديث من تكنولوجيا التلفزيونات، فأحدثنا طفرة بجلب تلفزيونات البالة بماركات عالمية

(هيتاشي وسوني وشارب) وعن طريقنا أدخلنا الريم ونت كترول، الذي أحدث ضجة بالاضافة للتقنيات الحديثة التي لم تكن موجودة في السابق. لذا كانت مبيعاتنا مرتفعة جدا ولمدة أكثر من ستة سنوات الى سقوط الطاغية، حيث حصل الانفتاح أمام المستورد الجديد، ودخلت الأجهزة الجديدة بأسعارها المناسبة، مع ارتفاع نسبي للقدرة الشرائية للمجتمع، عندها انخفضت مبيعات أسواق البالة، لكن عادت بقوة فيما بعد، بعد الانتكاسة الاقتصادية للبلد نتيجة السياسة الحكومية الخاطئة.

حاولت البحث عن مصادر تجارة البالة فالتقيت بالمواطن أبو صادق في سوق الكاظمية فقال: أنا استورد البالة من شمال العراق، وهم يأتون بها من تركيا، ملابس وأجهزة كهربائية، وهذه البضائع اغلبها مستعمل في البلدان الأوروبية وأسعارها مناسبة، وأنا أرى أن البائعين يرفعون أسعارها، وهذا دليل على الطلب الكبير عليها، أن سوق الكاظمية يأتيه الناس من كل مكان، لذلك فالبضائع تنفذ بسرعة، وهذا سبب ديمومة عملنا خصوصا أن الكثير من سوق البالات ماتت، بعد دخول الجديد المنافس بسعره ووصفاته.

☒ موديلات البالة لا تجدها حتى في أرقى المحلات!

أضاف محمد البياتي بائع ملابس بالة في سوق بغداد الجديدة: اخترت هذه المهنة في سنوات الحصار لأوفر حاجات أسرتي، والحقيقة أنها كانت خير عون لي في فترة الحصار، وبعد عام 2003 استمرت بنفس عملي، اليوم هناك فئة واسعة تتسوق ملابس البالة لرخص ثمنها وجمال موديلاتها، فموديلات البالة لا تجدها حتى في أرقى المحلات، لان بعضها يأتي من أوروبا، والتجار اغلب بضاعتهم من الصين أو عبر دبي، لذا يمثل ملابس البالة استثناء كبير، لا يوصله للزبون الا نحن بائعي البالة.

أما المواطن ثامر الشمري صاحب بسيطة لبيع البالة فيضيف: سوقنا تدخله اغلب فئات المجتمع، فقط الطبقة البرجوازية التي نمت مع الحاكم الأمريكي بريمر لا تدخله، هذه الطبقة التي تترفع وتتعالى على المجتمع! وهنا اعتب على بعض الناس والإعلاميين الذين يحاولون منع الناس من تسوق ملابس البالة، باعتبار أنها تجلب الأمراض الجلدية، وهذا غير صحيح فنحن نقوم بغسل الملابس قبل

بيعها، ونعطي إرشادات للمشتري بأهمية الغسل قبل اللبس، للخلاص من إي وساوس، وهنا نؤشر حقيقة أن سوق البالة ليس فقط للفقراء، بل حتى الباحثين عن الماركات العالمية المشهورة، فالسوق العراقية غارق بالبضاعة الصينية، فالكثير من طلاب الكليات يتسوقون منا تحت عنوان البحث عن ماركة عالمية.

والتقيت بالمواطن مرتضى احمد : بضاعتنا "البالة" هي أفضل من الجديد الصيني، وهي ماركات عالمية معروفة، والناس البسطاء يرغبوها لرخص ثمنها، وطلاب الجامعات بسبب بحثهم عن الماركات العالمية، فهم متسوقين جيدين للبالة، ونحن نستورد بضاعة دول شرق آسيا من الإمارات، وبضائع أوروبا تأتي عن طريق تركيا، وأنا متخصص في الملابس، حيث تأتي بماركات عالمية معروفة، وهي مرغوبة ليس فقط من الفقراء أو محدودي الدخل، بل حتى من ميسوري الحال، لأننا في العراق أكثر استيرادنا للملابس صينية، فالمنشئ الأوربي نادر، إما ابرز الحالات التي تصادفنا فمرات قليلة نجد نقود فئات قليلة في جيوب الملابس، والحقيقة أفضل البالات هي الخليجية، خصوصا الملابس النسائية، حيث البدلات الراقية ومن أهم المناشئ العالمية وبيعها بسعر كبير.

حاولت أن اعرف سبب الشراء فوجدت أبو جبار الدلفي وهو يقلب ملابس البالة بحثا عن شيء يعجبه ليشتريه فقال : أنا كلما جئت الى مدينة الكاظمية اذهب لسوق البالة، فأجد شيء مهم وأنا تعجبني البالة، لأنها لا يوجد لها مثل في البضائع الجديدة، بالإضافة لأسعارها المناسبة، فقط الحذر يأتي من كونها ملوثة بأمراض معدية، والحقيقة أن الكثير من البائعين يقومون بغسل البضائع وأنا انصح بالغسل قبل لبس البالة.

ووجدت احد الباعة تزدهم بسطيته بالناس وهو يصيح بأعلى صوته (القطعتين بألف) حيث يبيع ملابس أطفال واغلب المتجمهرين حول بضاعته من النساء فسئلت الحاجة أم رفل، وهي قد اشترت أربع قطع منه لماذا؟ فقالت : هذه الملابس راقية جدا بتفاصيلها، ونوعية القماش، والعلامات التي عليها، وهي تباع بمبالغ خيالية في المحلات، لكن هنا تباع بثمن قليل استطيع شرائها، وأنا تعودت منذ التسعينات الشراء من البالة، فنجد فيها ما لا نجده في المحلات، بالإضافة الى رخص ثمنها.

ووجدت صديقي نائل العامري يتسوق من سوق البالة فسألته عن سبب قدومه للسوق فقال: البعض

يتصور أن البالة فقط ملابس، لكنها تخص الحاسبات والأجهزة الالكترونية والكهربائيات حتى قطع غيار السيارات، وأتذكر جيدا كيف أن سوق تلفزيونات البالة كان رائجا في بداية الألفية الثالثة، بسبب ارتفاع أسعار الأجهزة الجديدة، وكانت بماركات عالمية معروفة مثل فليبس وتوشيبا واياوا، وكانت الناس تلجا للبالة لمواكبة تكنولوجيا العصر، بما هو مسموح وممكن، واستمرت الحالة حتى عام 2004، بعدها توفرت الأجهزة الحديثة بأسعار مناسبة، مما تسبب بموت سوق تلفزيونات البالة، وأضيف لو أن البضائع الجديدة معمرة وذات متانة لما لجأ الناس للبالة.

لكن المواطنة سعاد احمد (موظفة حكومية) كانت قصتها مؤلمة وخطيرة فقالت: لقد سببت لي ملابس البالة أيام سوداء لا يمكن أن تغادر ذاكرتي، فقد اشترت في احد الأيام بدلة لابنتي الصغيرة وهي بعمر ثلاث سنوات، فقد جذبني تفاصيله والماركة، لكن ما أن لبسته حتى ظهرت قروح في جسدها، وبقيت أعالجها عند طبيب مختص بالإمراض الجلدية، الى أكثر من ثلاث أشهر، وبعدها عاهدت نفسي أن لا اقرب سوق البالة.

☒ ألعاب الأطفال البالة تنفع في تنمية التفكير للطفل

بقيت متسائل ترى هل توجد أشياء تخص عالم الأطفال في البالة، فتم الجواب من حسين زامل حيث قال: ألعاب الأطفال البالة مطلوبة جدا، لأنها غير موجودة في أسواق الألعاب، حيث الألعاب الفكرية التركيبية والغاز الذكاء، وكلها مهمة في تنمية الذكاء لدى الطفل، وهذا يخص بضائع أوروبا، وهذه البالة قادمة من انكلترا وألمانيا، وهي مركز الحضارة الغربية، لذا يتلقفها الناس بسرعة لإدراكهم أهمتها للطفل، أتمنى أن يهتم المستورد العراقي بما ينفع الناس وبسعر مناسب، ويقدم هذا الأمر على الطمع، الذي جعله يجلب بضائع باب ثالث ورابع فقط لكي يزيد إرباحه.

☒ أجهزة الاستنساخ البالة أفضل من الجديد

وكان للسيد رافد فلاح رأي مهم يخص أجهزة الاستنساخ حيث تمثل اختصاصه فيقول : قبل فترة طلب مني شراء أجهزة استنساخ كبيرة، للدائرة التي اعمل بها، لكوني خبير في مجال أجهزة الاستنساخ فوجدت أن البالة أفضل من الجديد، من ناحية المتانة والقوة والسعر، حيث أن الأجهزة

الجديدة تكون دواخلها من بلاستيك فتكون سريعة التلف خصوصا أن الجهاز يعتمد الدوران المستمر في عملية الاستنساخ، بعكس أجهزة الاستنساخ الباله والتي دواخلها من ألمنيوم، والأمر الآخر فرق السعر الكبير، فـجهاز الاستنساخ الجديد يصل سعره الى أكثر من إلفين دولار، إما الباله فأسعارها تتراوح بسعر سبعمائة دولار.

وأضاف عبد زيد العلي (باحث اقتصادي): استمرار الطلب على "الباله" والبضائع المستخدمة، دليل على إن البضائع الجديدة لا تسد حاجة الناس، إما بسبب ارتفاع ثمنها، أو بسبب رداءتها خصوصا إذا علمنا إن الميزان التجاري مع الصين فاستيراد البضائع غير الجيدة وصل الى 14 مليار دولار سنويا، مما يؤكد امتلاء السوق ببضاعة رديئة وسبب الموضوع التجار وعدم وجود جهة تحاسب وتمنع دخول البضائع الرديئة، عندها لم يجد المواطن من حل الا اللجوء للبضائع الباله.

☒ الثمرة

ان سبب انتشار أسواق "الباله" في العراق يعود لسبب رئيسي وهو سوء إدارة الدولة من قبل النخبة الحاكمة، مع إن امتلاك البلد لخصائص اقتصادية متنوعة، لكن فشل الساسة في رسم سياسة اقتصادية ناضجة للبلد، وهكذا وجد العراقيون في نفايات الدول وسيلة لسد حاجاته، ننتظر اليوم الذي يدير البلد من يملك رؤية اقتصادية وإرادة على الفعل، فقد طال ليل الفاشلين.

* كاتب واعلامي عراقي

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية